الزمن بعداً كبيراً عن بساطة الأغاني الشعبية . وأصبح هم الشعراء التفوق والابتكار في مجال الصنعة الشعرية . لقد بلغ الشعر البروفينسالي الذي نشأ في أواخر القرن الحادي عشر قمة ازدهاره في منتصف القرن الثاني عشر وبدأ مرحلة انحطاطه في مطلع القرن الثالث عشر ثم اضمحل نهائياً باستيلاء الاقطاعيين الفرنسيين على اقليم بروفانس . (١)

ان الجزء الأعظم من الأعمال الشعرية البروفينسالية التي وردت الينا منسوبة إلى شعراء معينين أحصى العلماء منهم نحو (٥٠٠) شاعر ، من بينهم أربعون شاعراً مشهوراً . غير أن التاريخ لم يحفظ لنا معلومات دقيقة عن أغلبية هؤلاء الشعراء . أما قصص حياة التروبادور التي بدأت تظهر في القرن الثالث عشر فمعظمها محض اختلاق فني .

الفلسفة ونظرية الأدب والفن في العصور الوسطى :

لقد تحدثنا بصورة عامة عن النظرات الفلسفية والآراء الجمالية العامة التي سادت في العصر الوسيط . وقلنا إن السيطرة كانت كاملة لرجال الدين في الفترة الأولى من ذلك العصر ومن أبرز رجال الفكر في تلك الفترة القديس أوغسطين (٣٥٤–٤٣٠) . كان القديس أوغسطين ممثل الفن الرسمي في العصور الوسطى والمبدأ الأساسي الذي استندت اليه فلسفته هو : « الايمان شرط سابق للعقـــل » ولذا « لابد أن تؤمن حتى تستطيع أن تعقل » . وهكذا سخر أوغسطين الفلسفة في خدمة اللاهوت .

تأثر أوغسطين تأثرا واضحا بآراء افلوطين والافلاطونية الجديدة فعد العالم رائعاً لأنه من صنع الاله ولذا فلا يجب علينا أن نعجب بالعمل الفني وانما بالفكرة الالهية المتجسدة فيه . والجمال في جوهره العميق هو ، في نظر أوغسطين ، الخير والحقيقة . غير أن الخير والحقيقة المتجسدين في الجمال المحسوس يُستوعَبان بالمشاعر . والجمال المحسوس رمز لوحدة ماوراء الطبيعة . وهو لايحمل معنى في ذاته بل هو يحمل ذلك المعنى المتجسد فيه ، فلو قدر لأوغسطين ان يعجب بالغناء الكنسي نفسه أكثر من اعجابه بموضوع ذلك الغناء لعد نفسه آثماً .

---

(١) ان مسألة تأثير الشعر الاندلسي في الشعر البروفينسالي من الموضوعات التي يدرسها الأدب المقارن ولا مجال لبحثها في هذا الكتاب